

مكتبة مصر
تقديم
مجموعة محمد وسعيد

عطف وبر

إعداد : أمير سعيد السحار



رسوم
عبد الرحمن بكر

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع فاضل صدقي بالقاهرة

عطفٌ وبير .. !!

كان أبو عبد الرحمن ، عبدُ الله بن دينارٍ رضى الله عنه ،
مولىً لعبدِ الله ابنِ عمرَ بن الخطاب رضى الله عنهما ، وكان
ابنُ دينارٍ يحبُّ مولاهُ حباً كثيراً ، فيه وفاءٌ وإخلاصٌ ، بُنى
على خيرِ صلةٍ بين الإنسانِ وأخيه الإنسانِ ، ألا وهى صلةُ
الأخوةِ فى الله ، التى لا تأبى بهذا الخطامِ الفانى ، ولا تنظرُ
إلى الدنيا نظرةَ التقديسِ والعبادة ، كما ينظرُ إليها الأغبياءُ
الجاهلون ..

وكانت خُطةُ مولاهُ تُعجبهُ أيما عجبٍ ، فهو رجلٌ فى جميعِ
أحواله ، شجاعٌ مقدامٌ ، بيدَ أنه عجبٌ منه حينما خرجَ معه
ذاتَ مرةٍ ، وكان عبدُ الله بنُ عمرَ عنده حمارٌ جميلٌ ، يروِّحُ
عليه إذا ملَّ ركوبَ الرَّاحلةِ ، وعمامةٌ يشدُّ بها رأسه .

فكان إذا خرجَ إلى مكةَ ، لأمرٍ من الأمورِ ، ركبَ الحمارَ ،
وشدَّ رأسه بالعمامةِ ، ويمضى على بركةِ الله .. وليس من
عادةِ العربِ ركوبُ الحميرِ . فإنها قصيرةٌ لا تدعو إلى الاحترامِ





والتبجيل ، وإنما هم قد اعتادوا ركوبَ الجمال .. الإبل
 العالية الثمينة . والحيل السريعة القوية . أما الحمير تلك التي
 لا تكاد تظهر من الأرض ، فلا يرى فيها العربى لذة حين
 يركبها ، ولا متعة حين يملكها . إنه يريد العظمة والكبر
 والخلاء ، تلك طبيعة فى نفس العربى لا يجد عنها محيصا .
 ولكن عبد الله بن عمر ينزع إلى الراحة أحيانا ، وفى ركوب
 الحمير راحة وهدوء . فهي لا تهتز كالإبل ، وهي لا ترتج
 كالخيل . والراكب عليها لا يكاد يشعر بشيء من التعب أو
 المشقة ، وكأنما هو جالس يسريخ ، بينما هي تنساب من تحته
 انسياب الرقطاء فى الرمال . وعبد الله بن عمر لا يأنف كما
 يأنف العربى القح لأنه رجل هذبه الإسلام ، ونزع
 من نفسه تلك العاطفة العجيبة ،
 والإحساس الغريب ، الذى
 يسيطر على نفس كل فرد من
 هؤلاء الأعراب ، دون
 قصد أو تكلف .

وبينما هو في طريقه إلى مكة على حماره الجميل ، وقد شدَّ رأسه بعمامته الخاصة ، إذ به يرى أعرابياً ماراً بجانبه . فارتبك ابنُ عمرَ وبالت عليه علامُ التفكير ، وكأنما هو يفكرُ بسرعة في أمرٍ ذي بالٍ . ثرى من يكون هذا الأعرابيُّ . يُخيّل إلى أننى أعرفه . هل من اللّائق أن أسأله لأتأكّد أنه هو ابنُ صديقِ والدى عمرَ رضى الله عنه أم لا ؟ والفرحانُ إذا كان هو ابنُ صديقِ والدى عمرَ بنِ الخطابِ . إننى يجب على إكرامه ومحبته والبرُّ به . أجل فمن أبرُّ ، إن لم أبرُّ أصدقاء والدى وأحبّائه وآباءهم وأحبّائهم ؟ اعتقد أن البرُّ بأصدقاء والدى وأحبّائه والمقربين إليه وبأبنائهم كذلك برُّ به بعد مماته . وهل هناك فرصة أبلغ وأعظم ، وأجلُّ من هذه الفرصة . ليته هو .

وسأل عبدُ الله بنُ عمرَ الأعرابيُّ قائلاً :

— ألسْتَ فلانَ ابنَ فلان ؟ .

وذهل الأعرابيُّ حينما سمع هذا الصّوتَ موجّهاً إليه ، من رجلٍ لا يعرفه ، ثم قال فى دهشة :



- بلى ..

وهنا قفز عبد الله بن عمر من فوق حماره ، وكله الفرخ
والسرور الغامر ، وكأنا عثر على ضالة ينشدها من طويل
الأزمان والآباد . وقال للأعرابي في احرام ووقار :
- اركب هذا .

وقدم إليه الحمار ، وخلع العمامة من على رأسه وقال :
- وخذ هذه ، اشدّ بها رأسك .

عجب الأعرابي لهذا التصرف ، وقال في نفسه :

- كيف يفعل هذا شخص لا أعرفه ؟ حقاً إنه يعرفني لأنه
ناداني باسمي ، ولكن هل أستحق شيئاً من ذلك ؟ وخاصة
وهذا الشاب في غاية من الصلاح والتقوى كما يبدو من
معالم وجهه وسماه ، وهو من عليّة القوم كذلك ، لما يبدو
عليه من آثار النعمة . إنه يُحيل إلى أنني قد رأيته ولكن من
أمد بعيد ، فهل يمكن أن أكون صادقاً فيما يحيل لي ؟ والله
إن صدق ظني فهذا عبد الله بن عمر ، إنه فيه كثير من شبه





أبيه . وإن أباه رضى الله عنه كان من أعزّ أحباب والدى وأصدقائه ، فلا مانع أنه يكرمى هذا ، فيكون بذلك مكرماً لو الله وبارأ به بعد مماته ؟

ولم تكن هذه حال الرجل فحسب ، بل كانت هي حال عبد الله بن دينار كذلك ، الذى لم يطق صبراً ، بل انفجر قائلاً فى دهشة وعجب :

- غفر الله لك ، أعطيت هذا الأعرابى حماراً كنت تروح به عن نفسك ، وتسريح عليه ، وتجد فى ذلك لونا من ألوان المتعة واللذة ، وعمامة كنت تشد بها رأسك ، فلا ينالك ألم الشمس وحرارتها .. فكيف إذن تفعل يا سيدى ما فعلت ؟ كيف تسير ماشياً .. وبغير عمامة ؟

فصمت عبد الله بن عمر ، فى تفكير عميق ، ثم قال :
- يا ابن دينار ، إن الله أودع القلوب محبة وبرأ ، وفاضل بين هذا البر ، وتلك المحبة ، فهناك أبر البر ، وهناك أرفع أنواع المحبة والود .. وإن من أبر البر ، وأرفع أنواع المحبة ،

صلة الرجلِ أهلٍ ودٍ أيُّه بعد أن يموت .

وقلكت الدهشة ابنَ دينار ، وسيطر عليه العجبُ العاجبُ ،
ولم يعرفَ ماذا يقولُ .. وخيّل إليه أنه لم يفهم شيئاً مما قال ابنُ
عمرٍ .. وإلا فكيف ينالُ الميتُ من عملِ الحي . إن الميتَ قد
مات ، وانقطعَ عمله من الدنيا ، وليس للإنسان إلا ما سعى ،
وقدّمته يداه . ثم ما هذه الفلسفةُ الدقيقةُ ؟ برُّ أصدقاءِ الميتِ ،
ومودّتهم ، والعطفُ عليهم ، ومواساتهم ، والنظرُ إلى
محتاجهم بإشباعه إذا جاع ، وكسوته إذا تعرّى . هذا كلّهُ لا
يُعتبرُ برّاً فحسبُ ، وإنما يعتبرُ من أبرِّ البرِّ ؟ ولماذا ؟ لأنه برٌّ
في ذاته ، ثم هو لأصدقاءِ الوالدِ الميتِ ، فكأنما يمتُّ إلى
الإحسانِ والعطفِ ، والبرِّ والرحمةِ والمودةِ ، لا بسببِ واحدٍ
وإنما بسببين . هذا وأيمُ الحقِّ غريبٌ وعجيبٌ ! ولكنه على
أىِّ حالٍ ، له وجّةٌ من الوجوهِ يُحملُ عليه ، ويُفهمُ به ، ولكن
مع طویلِ نظرٍ ، وكبيرِ عناءٍ . ولماذا يُتعبُ الإنسانُ نفسه في
هذه الناحيةِ ، ويمضى مع الفكرِ في شتى نواحيه ، ومختلف
ضروبه ، ما دام هذا فضلُ اللَّهِ ؟ .. إنه الفضلُ الإلهيُّ





لا أَكْثَرَ وَلَا أَقَلَّ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَسِطُ مُوَائِدَهُ لِلنَّاسِ ، وَمَا عَلَيْهِمْ
سِوَى الْإِسْتِجَابَةِ مَخْلَصِينَ .. !!

وَلَمَحَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، عَلَامَةَ التَّفَكُّيرِ عَلَى وَجْهِ ابْنِ
دِينَارٍ ، فَقَالَ لَهُ مَطْمَئِنَّا شَارِحًا :

— لَقَدْ سَمِعْتُ يَا ابْنَ دِينَارِ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ
وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يَقُولُ :

«إِنَّ مِنْ أَمْرِ الْبِرِّ ، صَلَاةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وَدَّ آيِهِ ، بَعْدَ أَنْ يُولَى !
وَكَاثِمًا وَقَعَ ابْنُ دِينَارٍ فِي وَرْطَةٍ أُخْرَى ، وَابْتِهَمَتْ ، أَمَامَهُ
مَسَالِكُ التَّفَكُّيرِ ، وَخَيَّلَ إِلَيْهِ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ يُلَغِزُ مَعَهُ وَلَا يَشْرَحُ .
أَجَلَ ، فَهَذَا الْأَعْرَابِيُّ لَا يَعْقِلُ أَنْ يَكُونَ صَدِيقًا لِعُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَهُوَ أَعْرَابِي لَا تَبْدُو عَلَيْهِ مَعَالِمُ
الشَّيْخُوخَةِ ، وَلَكِنَّهُ فِي مَقْتَبَلِ الْعُمَرِ ، وَرِيعَانِ الشَّبَابِ ، وَمَا
كَانَ يَجْدُرُ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنْ يَنْزِلَ عَنْ حِمَارِهِ لِيَرْكَبَ هَذَا
الرَّجُلُ ، وَأَنْ يَخْلَعَ عِمَامَتَهُ لِيَشُدَّ بِهَا هَذَا الْأَعْرَابِي رَأْسَهُ ،

ويؤثره على نفسه في وقتٍ هو في أشد الحاجة إلى الراحة
والهدوء ، والاحتجاب من الشمس التي تفتك بالراءوس .

ورأى ابنُ عمرَ ما يعملُ في نفسه فقال :

— إن أباه كان صديقاً لعمرَ رضى الله عنه . ا

وانقشعت ظلمةُ الريّة والشك ، عن قلبِ ابنِ دينار ،
وفهم كلُّ شيءٍ وطرب لهذا الفضلِ الإلهي الذي يسوقه
اللهُ على يدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وعقدَ النيّةَ
على إكرامِ كلِّ أصدقاءِ والدّية ليكتبَ لهما في سجلّهما
حسَنَاتٌ كثيرةٌ ، ويناله هو من وراء ذلك عظيمُ الأجرِ وجزيلُ

الثواب .. !!

